السُبُل النيّرات
في أهمية علم القراءات

تأليف: الدكتور إبراهيم بن محمد كشيدان

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

إذن الطباعة:

المجلس الوطني للإعلام - الإمارات العربية المتحدة

الرقم الدولي: ISBN:

الناشر:

الإمارات العربية المتحدة / دبي

هاتف:

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب:٧١ -٧٠].

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد، فهذا بحث مختصر في أهمية القراءات وهو مستلٌ من كتابي: «الفوائد النيرات». والله أسأل أن ينفع به كل من قرأه واطلع عليه، وأن يكون خالصا لوجهه الكريم.

كتبه: أبو إسماعيل إبراهيم بن محمد كشيدان

أهمية القراءات

إن القرآن الكريم حوى كل العلوم، وتنوع القراءات أفادنا بفوائد كثيرة جدا، لا يعلمها إلا من غاص في لجه، واعتكف على كتبه المفيدة فاستخرج لؤلؤه ودرره.

وإن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أقرأ الصحابة -رضي الله عنهم- القراءات، والصحابة تعلموها وأقرؤوها للتابعين إلى أن وصلت القراءات إلينا كما أنزلت.وصدق الله العظيم القائل: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون). (الحجر: ٩).

ولكن بعض الناس يقول: إن الاشتغال بالقراءات لا قيمة له، وهذا إطلاق باطل، بل يدل على جهله، وعدم إنصافه، وإن الصواب هو التفصيل. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (فَلَا بُدَّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ التَّفْصِيلِ. وَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ فَهْمُ مَعَانِيهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ هِمَّةَ حَافِظِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ...)[١].

وأقول: كما يقال: من جهل شيئا عاداه، ومن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب، وفاقد الشيء لا يعطيه، ومن قل علمه كثر لغطه، فمن لم يعرف قيمة علم القراءات

---

[١] مجموع الفتاوى: ٢٣/٥٤.

عاداها، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه.

ومن قرأ كتب التفسير وبخاصة المهتمة بآيات الأحكام،وتوجيه القراءات أدرك شيئاً كثيرا مما كان يجهله. فلكل علم أهله، ولكل فن فرسانه. (كل علم يسأل عنه أهله).

يا باريَ القَوْسِ بَرْياً لستَ تُحسِنُهَا * لاَ تُفْسِدنْهَا وأعط الْقوس بَارِيها

وصدق من قال:

مَهْلاً هداك الله مَا الحديث لك * من خاض في اللجاج حتما قد هلك

لا تحسبن أن بالكُتْب مثلنا ستصير * فللدجاجة ريش لكنها لا تطير

وقال آخر:

فدع عنك الكتابة لست منها * ولو سودت وجهك بالمداد

هذا وإني أنصح طلاب العلم بكتاب القراءات وأثرها في التفسير والأحكام لفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول فقد أجاد وأفاد -حفظه الله-.

أعود للتفصيل فأقول: إن الواجب على المرء قبل كل شيء تعلم أمور التوحيد والعقيدة، والضروري من أركان

الإيمان الستة، وواجبات الإسلام الخمسة، وما يحتاجه في حياته، ومن الواجبات حفظ ما تصح به صلاته، وما أشكل عليه من أمور دينه فليسأل عنه أهل العلم قال ربي:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.[سُورَةُ النَّحْلِ: ٤٣]. فكما بينا آنفا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ تقديم العلم العيني كَعِلْمِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فَهذا مُقَدَّمٌ عَلَى حِفْظِ مَا لَا يَجِبُ مِن الْقُرْآنِ، فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ وَاجِبٌ، فإن تعلم كل ما يجب عليه، فله أن يتعلم ما وراء ذلك، من فروض الكفاية، والمستحبات المشروعة. وأما أن ينشغل في علم القراءات وهو لا يحسن أمور دينه من الواجبات، ولا يدري الحلال من الحرام فلا يجوز له ذلك. والذي ينبغي على طالب العلم ألا يفني عمره في طلب الروايات بحيث يهمل العلوم الأخرى، فإذا رغب الطالب في القراءات فعليه الاكتفاء بالقراءات العشر.

وعلمُ القراءات من العلوم التي يجب على الأمة أن تحفظها؛ لأنه متعلق بكلام الله - عز وجل-، والقراءات المتواترة هي من جملة ما تكلم الله به سبحانه، فكيف يكون الاشتغال به لا قيمة له؟!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (أَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ عَيْنًا كَعِلْمِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَمَا

نَهَى اللهُ عَنْهُ فَهُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى حِفْظِ مَا لَا يَجِبُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ الْأَوَّلِ وَاجِبٌ، وَطَلَبَ الثَّانِي مُسْتَحَبٌّ، وَالْوَاجِبُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمُسْتَحَبِّ.

وَأَمَّا طَلَبُ حِفْظِ الْقُرْآنِ: فَهُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا تُسَمِّيهِ النَّاسُ عِلْمًا: وَهُوَ إِمَّا بَاطِلٌ أَوْ قَلِيلُ النَّفْعِ. وَهُوَ أَيْضًا مُقَدَّمٌ فِي التَّعَلُّمِ فِي حَقِّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ عِلْمَ الدِّينِ مِنَ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، فَإِنَّ الْمَشْرُوعَ فِي حَقِّ مِثْلِ هَذَا فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ أَنْ يَبْدَأَ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ أَصْلُ عُلُومِ الدِّينِ بِخِلَافِ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ مِنَ الْأَعَاجِمِ وَغَيْرِهِمْ، حَيْثُ يَشْتَغِلُ أَحَدُهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْعِلْمِ مِنَ الْكَلَامِ، أَوْ الْجِدَالِ وَالْخِلَافِ أَوْ الْفُرُوعِ النَّادِرَةِ أَوْ التَّقْلِيدِ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ، أَوْ غَرَائِبِ الْحَدِيثِ الَّتِي لَا تَثْبُتُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهَا، وَكَثِيرٍ مِنَ الرِّيَاضِيَّاتِ الَّتِي لَا تَقُومُ عَلَيْهَا حُجَّةٌ، وَيَتْرُكُ حِفْظَ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَا بُدَّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ التَّفْصِيلِ. وَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ فَهْمُ مَعَانِيهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ هِمَّةَ حَافِظِهِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ)(١).

وقال ابن الجوزي : (اعلم أنه لو اتسع العمر لم أمنع من الإيغال في كل علم إلى منتهاه، غير أن العمر قصير،

---

(١) مجموع الفتاوى:٢٣/٥٤.

والعلم كثير، فينبغي للإنسان أن يقتصر من القراءات إذا حفظ القرآن على العشر)[1].

وليحذر طالب العلم الاهتمام الزائد بالقراءات والغلو فيها حتى يؤدي ذلك إلى التفريط في الفرائض والواجبات، قال ابن الجوزي – رحمه الله-: (فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها، فيُفني أكثر عمره في جمعها وتصنيفها والإقراء بها، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، فربما رأيت إمام مسجد تصدر للإقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة)[2].
وقال رحمه الله: (قد ثبت بالدليل شرف العلم وفضله، إلا أن طلاب العلم افترقوا، فكل تدعوه نفسه إلى شيء، فمنهم من أذهب عمره في القراءات، وذاك تفريط في العلم؛ لأنه إنما ينبغي أن يعتمد على المشهور منها لا على الشاذ، وما أقبح القارىء يسأل عن مسألة الفقه وهو لا يدري، وليس ما شغله عن ذلك إلا كثرة الطرق في روايات القراءات)[3].

إن من الدلالات الواضحات، والبراهين الكاشفات على أهمية علم القراءات ما يأتي:

---

[1] صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. دار القلم - دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٤٤١-٤٤٢.

[2] تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، (٢/٦٦٥).

[3] صيد الخاطر، ص٣٢٢.

١. عناية السلف الربانيين -من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، رحمهم الله تعالى - بكتاب الله أيما اعتناء، واهتمامهم بجمعه في الصدور، وفي السطور، منذ عهد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بلكَانَ جِبْرِيلُ – عليه السلام-يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كُلَّ سَنَةٍ، فقد صحعن مَسْرُوق عَنْ عَائِشَةَ عَنْ فَاطِمَةَ –رضي الله عنهم - أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وقال ابْن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: «كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِن الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»(١).

٢. اهتمام الصحابة -رضي الله عنهم- بحفظ القرآن وكتابته وجمعه بجميع رواياته وقراءاته كما أنزل،بل نجدهم على دراية كبيرة بكتاب الله من حيث حفظ حروفه ومعانيه وأسباب نزوله، فقد كان للنبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حفاظ عنه يحفظون كتاب الله - عز وجل-، وكتاب

---

١ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،٤٩٩٧.

يكتبون عنه ما يوحى إليه.

قال ابن تيمة: (إِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقَّوْا عَنْهُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ إلَيْهِمْ مِنْ الْقُرْآنِ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ جَمِيعًا كَمَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي - وَهُوَ الَّذِي رَوَى عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « { خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ } » كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَكَانَ يُقْرِئُ الْقُرْآنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ - حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا عُثْمَانُ بْنُ عفان وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُمَا: أَنَّهُمْ كَانُوا إذَا تَعَلَّمُوا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا. وَلِهَذَا دَخَلَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: « { خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ } » تَعْلِيمُ حُرُوفِهِ وَمَعَانِيهِ جَمِيعًا؛ بَلْ تَعَلُّمُ مَعَانِيهِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ بِتَعْلِيمِ حُرُوفِهِ وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَزِيدُ الْإِيمَانَ).

قال ابن تيمية: (وَالِاعْتِمَادُ فِي نَقْلِ الْقُرْآنِ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ لَا عَلَى الْمَصَاحِفِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « { إنَّ رَبِّي قَالَ لِي

أَنْ قُمْ فِي قُرَيْشٍ فَأَنْذِرْهُمْ. فَقُلْتُ: أَيْ رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي - أَيْ: يَشْدَخُوا - فَقَالَ: إِنِّي مُبْتَلِيك وَمُبْتَلٍ بِك وَمُنْزِلٌ عَلَيْك كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا ويقظانا فَابْعَثْ جُنْدًا أَبْعَثْ مِثْلَيْهِمْ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَك مَنْ عَصَاك وَأَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْك } « فَأَخْبَرَ أَنَّ كِتَابَهُ لَا يَحْتَاجُ فِي حِفْظِهِ إلَى صَحِيفَةٍ تُغْسَلُ بِالْمَاءِ؛ بَلْ يَقْرَؤُهُ فِي كُلِّ حَالٍ كَمَا جَاءَ فِي نَعْتِ أُمَّتِهِ: « أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ » بِخِلَافِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ لَا يَحْفَظُونَهُ إلَّا فِي الْكُتُبِ وَلَا يَقْرَءُونَهُ كُلَّهُ إلَّا نَظَرًا لَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ) ومن الصحابة الذين اهتموا بالقرآن العظيم الخلفاء الأربعة:أبو بكر الصديق – رضي الله عنه - وهو أول من جمع القرآن في مصحف، وأم الناس في حياة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فعَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِن الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللهَّ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ

شَابٌّ عَاقِلٌ، لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ، وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-»(١).

ومن الصحابة أيضا عمر بن الخطاب، قال أبو العالية

---

١ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب جَمْعِ الْقُرْآنِ،٤٩٨٦.

الرياحي: قرأت القرآن على عمر أربع مرات.(١)

ومن الصحابة الذين اهتموا بالقرآن العظيم أيضا عثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وسالم بن مَعْقِل مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص(٢)، وأبو زيد قيس بن السكن، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل،وأبو هريرة،وابن عباس، وأبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك وعبد الله بن السائب وعائشة، وحفصة، وأم سلمة وغيرهم من الصحابة الكرام – رضي الله عنهم-، ومن التابعين أبو جعفر المدني يَزِيدُ بنُ القَعْقَاعِ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجُ ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعَطَاءٌ بن يسار، وابن أبي رباح، والحسن بن أبي الحسن البصري، وعَلْقَمَةُ بن قيس، والأَسْوَدُ ابن يزيد النخعي، وزِرُّ بنُ حُبَيْشٍ، ومسروق ابن الأجدع، وعبيدة ابن عمر السلماني،وعكرمة مولى ابن عباس، وعبد الله بن حبيب: أبو عبد الرحمن السلمي، وغيرهم من الأبرار -رحم الله الجميع-.

---

١ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير. تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، ٤/١٤٥، والإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ: ٤/٥٨٨، وغاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ: ١/٥٩١.

٢ ينظر أسدالغابة: ٢/ ٣٦٦، وغاية النهاية: ١/ ٣٠٤.

قال الزمزمي(١):

عَـلِيٌّ، عُثْـمانُ، أُبِيٌّ، زَيْـدُ   ولابْـنِ مَسـعُودٍ بِهـذا سَـعْدُ
كـذا أَبُو زَيْـدٍ[1]، أَبو الـدَّرْدا كَذَا   مُعـاذٌ بـنُ جَبَـلٍ، وأَخَـذَا
عَنْهُـمْ أَبُـو هُرَيْـرَةٍ مَـعَ ابْـنِ   عَبَّـاسٍ، ابـنُ سَـائِبٍ، والمَعْـنِي
بِذَيْـنِ عَبْـدُ اللهِ ثُـمَّ مَـنْ شُـهِرْ   مِـنْ تَابِـعِيٍّ فالَّـذِي مِنْهُـمْ ذُكِـرْ
يَزِيْـدُ أَيْ مَـنْ أَبُـهُ القَعْقَـاعُ   والأَعْـرَجُ بـنُ هُرْمُـزٍ قَـدْ شَـاعُوا
مُجَاهِـدٌ، عَطَـا، سَـعِيْدٌ، عِكْرِمَـةْ   والحَسَـنُ، الأَسْـوَدُ، زِرٌّ، عَلْقَمَـةْ
كـذاكَ مَـسْرُوقٌ، كـذا عَبِيْـدَةْ   رُجُـوعُ سَـبْعَةٍ لَهُـمْ لا بُـدَّهْ

قال ابن الجزري: (وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلامه في أول كتابه في القراءات من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم. فذكر من الصحابة أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليا، وطلحة، وسعداً، وابن مسعود، وحذيفة، وسالماً، وأبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة: وهؤلاء كلهم من المهاجرين وذكر من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وأبا الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، ومجمع بن جارية، وأنس ابن مالك رضي الله عنهم أجمعين)(٢).

---

١ منظومة الزمزمي في التفسير، عبد العزيز الزمزمي، ص٦، د.ت.
٢ النشر: ١٤/١.

ولكن قد يعترض معارض ويقول: هذا غير صحيح؛ إن الذي حفظ القرآن من الصحابة أربعة فقط؛ لقول النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»[1].

الجواب عن هذا الاعتراض هو ما قاله الحافظ ابن حجر -رحمه الله-، قال ابن حجر: (قوله: «خذوا القرآن من أربعة» أي: تعلموه منهما، والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين، وهما المبدأ بهما، واثنان من الأنصار، وسالم هو ابن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ هو ابن جبل. وقد تقدم هذا الحديث في مناقب سالم مولى أبي حذيفة من هذا الوجه وفي أوله «ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خذوا القرآن من أربعة فبدأ به» فذكر حديث الباب. ويستفاد منه محبة من يكون ماهرا في القرآن، وأن البداءة بالرجل في الذكر على غيره في أمر اشترك فيه مع غيره يدل على تقدمه فيه،......ثم قال الحافظ- رحمه الله-: وقال الكرماني: يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعده، أي: أن هؤلاء الأربعة

---

[1] أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -٤٩٩٩.

يبقون حتى ينفردوا بذلك، وتعقب بأنهم لم ينفردوا، بل الذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبوي أضعاف المذكورين، وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة اليمامة، ومات معاذ في خلافة عمر، ومات أبي وابن مسعود في خلافة عثمان، وقد تأخر زيد بن ثابت وانتهت إليه الرياسة في القراءة وعاش بعدهم زمانا طويلا، فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد منهم جماعة من الصحابة، وقد تقدم في غزوة بئر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلا......ثم قال الحافظ- رحمه الله-: قوله: «سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار» في رواية الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في أول الحديث: «افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقال الأوس: منا أربعة: من اهتز له العرش سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة ابن ثابت، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومن حمته الدبر عاصم بن ثابت. فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم. فذكرهم......... ثم قال

الحافظ- رحمه الله-: وجوزت هناك أن لا يكون لقول أنس «أربعة» مفهوم، لكن رواية سعيد التي ذكرتها الآن من عند الطبري صريحة في الحصر، وسعيد ثبت في قتادة. ويحتمل مع ذلك أن مراد أنس «لم يجمعه غيرهم» أي: من الأوس بقرينة المفاخرة المذكورة، ولم يرد نفي ذلك عن المهاجرين، ثم في رواية سعيد أن ذلك من قول الخزرج، ولم يفصح باسم قائل ذلك، لكن لما أورده أنس ولم يتعقبه كان كأنه قائل به ولا سيما وهو من الخزرج. وقد أجاب القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره عن حديث أنس هذا بأجوبة: أحدها: أنه لا مفهوم له، فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه.

ثانيها: المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك.

ثالثها: لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك، وهو قريب من الثاني.

رابعها: أن المراد بجمعه تلقيه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بواسطة، بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة.

خامسها: أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به، وخفي حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك

فيهم بحسب علمه، وليس الأمر في نفس الأمر كذلك، أو يكون السبب في خفائهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب، وأمن ذلك من أظهره.

سادسها: المراد بالجمع الكتابة، فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظا عن ظهر قلب، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة، وحفظوه عن ظهر قلب.

سابعها: المراد أن أحدا لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلا أولئك، بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك؛ لأن أحدا منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين نزلت آخر آية منه، فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين.

ثامنها: أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه. وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهرية «أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال: إن ابني جمع القرآن، فقال: اللهم غفرا، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع» وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر، وهو أن المراد إثبات

ذلك للخزرج دون الأوس فقط، فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم، ويحتمل أن يقال: إنما اقتصر عليهم أنس لتعلق غرضه بهم، ولا يخفى بعده. والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقد تقدم في المبعث أنه بنى مسجدا بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن، وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك، وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي - صلى الله عليه وسلم- وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة منهما للآخر حتى قالت عائشة كما تقدم في الهجرة أنه - صلى الله عليه وسلم- كان يأتيهم بكرة وعشية. وقد صحح مسلم حديث: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله» وتقدمت الإشارة إليه، وتقدم أنه -صلى الله عليه وسلم- أمر أبا بكر أن يؤم في مكانه لما مرض فيدل على أنه كان أقرأهم، وتقدم عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي -صلى الله عليه وسلم-. وأخرج النسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر قال: «جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأه في شهر» الحديث، وأصله في الصحيح وتقدم في الحديث الذي مضى ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين، وقد

ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم -فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة، ولكن بعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبي صلى الله عليه وسلم فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس، وعد ابن أبي داود في «كتاب الشريعة» من المهاجرين أيضا تميم بن أوس الداري وعقبة بن عامر» ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذا الذي يكنى أبا حليمة ومجمع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم، وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبي - صلى الله عليه وسلم-، وممن جمعه أيضا أبو موسى الأشعري ذكره أبو عمرو الداني، وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة. قوله: «تابعه الفضل بن موسى عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس» هذا التعليق وصله إسحاق بن راهويه في مسنده عن الفضل بن موسى به، ثم أخرجه المصنف من طريق عبد الله بن المثنى «حدثني ثابت البناني وثمامة عن أنس قال مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة» فذكر الحديث، فخالف رواية قتادة من وجهين: أحدهما: التصريح بصيغة الحصر في الأربعة، ثانيهما: ذكر أبي الدرداء بدل أبي بن كعب. فأما الأول

فقد تقدم الجواب عنه من عدة أوجه، وقد استنكره جماعة من الأئمة. قال المازري: لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك؛ لأن التقدير أن لا يعلم أن سواهم جمعه، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد، وهذا لا يتم إلا إن كان لقي كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع القرآن في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذا في غاية البعد في العادة، وإذا كان المرجع إلى طخا ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك. قال: وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة، ولا متمسك لهم فيه، فإنا لا نسلم حمله على ظاهره. سلمناه، ولكن من أين لهم أن الواقع في نفس الأمر كذلك؟ سلمناه، لكن لا يلزم من كون كل واحد من الجم الغفير لم يحفظه كله أن لا يكون حفظ مجموعه الجم الغفير، وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه، بل إذا حفظ الكل الكل ولو على التوزيع كفى، واستدل القرطبي على ذلك ببعض ما تقدم من أنه قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا العدد، قال: وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم. وأما الوجه الثاني من المخالفة فقال الإسماعيلي:

هذان الحديثان مختلفان، ولا يجوزان في الصحيح مع تباينهما، بلى الصحيح أحدهما. وجزم البيهقي بأن ذكر أبي الدرداء وهم والصواب أبي بن كعب.

وقال الداودي: لا أرى ذكر أبي الدرداء محفوظا. قلت: وقد أشار البخاري إلى عدم الترجيح إسرجيح باستواء الطرفين، فطريق قتادة على شرطه وقد وافقه عليها ثمامة في إحدى الروايتين عنه، وطريق ثابت أيضا على شرطه وقد وافقه عليها أيضا ثمامة في الرواية الأخرى، لكن مخرج الرواية عن ثابت وثمامة بموافقته، وقد وقع عن عبد الله بن المثنى وفيه مقال وإن كان عند البخاري مقبولا لكن لا تعادل روايته رواية قتادة، ويرجح رواية قتادة حديث عمر في ذكر أبي بن كعب وهو خاتمة أحاديث الباب، ولعل البخاري أشار بإخراجه إلى ذلك لتصريح عمر بترجيحه لا القراءة على غيره، ويحتمل أن يكون أنس حدث بهذا الحديث في وقتين فذكره مرة أبي بن كعب ومرة بدله أبا الدرداء، وقد روى ابن أبي داود من طريق محمد بن كعب القرظي قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وأبو الدرداء وأبو أيوب الأنصاري» وإسناده حسن مع إرساله، وهو شاهد جيد لحديث عبد الله بن المثنى

في ذكر أبي الدرداء وإن خالفه في العدد والمعدود، ومن طريق الشعبي قال: «جمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة منهم أبو الدرداء ومعاذ وأبو زيد وزيد بن ثابت، وهؤلاء الأربعة هم الذين ذكروا في رواية عبد الله بن المثنى، وإسناده صحيح مع إرساله. فلله در البخاري ما أكثر اطلاعه. وقد تبين بهذه الرواية المرسلة قوة رواية عبد الله بن المثنى وأن لروايته أصلا والله أعلم. وقال الكرماني: لعل السامع كان يعتقد أن هؤلاء الأربعة لم يجمعوا وكان أبو الدرداء ممن جمع فقال أنس ذلك ردا عليه، وأتى بصيغة الحصر ادعاء ومبالغة، ولا يلزم منه النفي عن غيرهم بطريق الحقيقة والله أعلم)[1].

٣. إن علم القراءات لم يهتم بكيفية النطق وبيان فرش الحروف فقط، كما يظن بعض من لا علم له بها، بل صور الاهتمام تنوعت كما سنبينه فيما بعد.

٤. إن القراءات من الطرائق لفهم آي القرآن، وبيان الأحكام، وشرح الأدلة، وإزالة الشبه.

٥. إن علم القراءات يحتاج إليه المقرئ، والمفسر، والمحدث، والفقيه، واللغوي، وهو علم متداخل مع علم التوحيد

---

[1] فتح الباري لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر:٩/٤٧.

والعقيدة، وعلم أسباب النزول، وعلم الفواصل، وعلم فضائل القرآن، والفقه، والتفسير، والحديث، واللغة، وأصول الفقه، وعلم النحو والإعراب،والبلاغة. قال السيوطي: (فإن العلم بحر زخار، لا يدرك له من قرار، وطود شامخ لا يسلك إلى قننه⁽¹⁾، ولا يصار من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولا، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلا، كيف وقد قال -تعالى- مخاطبا لخلقه: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه. والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام.

وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولوا الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ، وبلاغة أسلوب، تبهر العقول،

---

(1) قننه: جمع قنة بالضم، وهي أعلى الجبل.

وتسلب القلوب، وإعجاز نظم، لا يقدر عليه إلا علام الغيوب.)(١).

٦. إن المتأمل في كتب السلف يجد أنهم اهتموا بعلم القراءات، ويستشهدون بها في الأحكام، كما في كتب العقيدة، والتفسير، والفقه، والنحو واللغة، ومن ذلكم سيبويه في كتابه الكتاب. وغيره من علماء النحو واللغة كالمبرد، والفراء، فكتبهم مليئة بالشواهد القرآنية والقراءات.

وهذا سفيان الثوري -رحمه الله- نجده قد استشهد بالقراءات في تفسيره مرات عديدة(٢)، ومثله ابن فتيبة في كتاب غريب تفسير القرآن، وابن جرير الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وكذلك أبو جعفر النحاس في كتابه معاني القرآن الكريم، فقد اهتموا ببيان أثر القراءات في معاني الآيات.

وكما قلنا: إن علم القراءات قد اعتنى بعلم التوحيد ، ومن ذلكم - قوله تعالى-: { بل عجبتُ ويسخرون } بالضم، وهي قراءة صحيحة متواترة، وهي قراءة حمزة، والكسائي. قال ابن جرير الطبري – رحمه الله -: قوله: (بَلْ عَجِبْتَ

---

(١) الإتقان في علوم القرآن،١/١٦.

(٢) ينظر القراءات وأثرها في التفسير والأحكام - محمد بازمول. جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، أطروحة دكتوراه: ص١٧٩.

وَيَسْخَرُونَ) اختلفت القرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرَّاء الكوفة: (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ) بضم التاء من (عَجِبْتَ)، بمعنى: بل عظُم عندي، وكبر اتخاذهم لي شريكاً، وتكذيبهم تَنْزيلي، وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قرَّاء المدينة، والبصرة، وبعض قرَّاء الكوفة (عَجِبْتَ) بفتح التاء، بمعنى: بل عجبتَ أنت يا محمد، ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قرَّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ: فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنييهما ؟! قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكلّ واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجِب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسَخِر المشركونَ مما قالوه [1].

وقال الشنقيطي في أضواء البيان في قول الله -تعالى-: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ): (قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير حمزة والكسائي: عجبت بالتاء المفتوحة وهي تاء الخطاب، المخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1] تفسير الطبري: ٢١ / ٢٢، ٢٣.

وقرأ حمزة والكسائي: بل عجبت بضم التاء المتكلم، وهو الله جل وعلا.وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن القراءتين المختلفتين يحكم لهما بحكم الآيتين.

وبذلك تعلم أن هذه الآية الكريمة على قراءة حمزة والكسائي فيها إثبات العجب لله تعالى، فهي إذاً من آيات الصفات على هذه القراءة.

وقد أوضحنا طريق الحق التي هي مذهب السلف في آيات الصفاتن وأحاديثها في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: { ثُمَّ استوى عَلَى العرش }[الأعراف: ٥٤] فأغنى ذلك عن إعادته هنا)[1].

وقال أبو زرعة عبدالرحمن بن زنجلة في كتابه (حجة القراءات): قرأ حمزة والكسائي: بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ؛ بضم التاء، وقرأ الباقون بفتح التاء، ثم قال: قال أبو عبيد: قوله: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ؛ بالنصب: بل عجِبت يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك، ومن قرأ: عَجِبْتُ؛ فهو إخبار عن الله - عَزَّ وجلَّ- اهـ.

وقوله -تعالى-:{ذو العرش المجيد} قال ابن القيم: عند حديثه عن إقسام الله سبحانه بـ {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ ٤٥٣/٦.

الْبُرُوجِ}:(... ثم وصف نفسه بالمجيد وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها وسعة أفعاله، وكثرة خيره ودوامه، وأما من ليس له صفات كمال ولا أفعال حميدة فليس له من المجد شيء، والمخلوق إنما يصير مجيدا بأوصافه وأفعاله، فكيف يكون الرب تبارك وتعالى مجيدا، وهو معطل عن الأوصاف والأفعال تعالى الله عما يقول المعطلون علوا كبيرا، بل هو المجيد، الفعال لما يريد، والمجد في لغة العرب كثرة أوصاف الكمال،وكثرة أفعال الخير، وأحسن ما قرن اسم المجيد إلى الحميد، كما قالت الملائكة لبيت الخليل -عليه السلام-: {رَحْمَتُ اللهِّ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ} وكما شرع لنا في آخر الصلاة أن نثني على الرب تعالى بأنه حميد مجيد، وشرع في آخر الركعة عند الاعتدال أن نقول: ربنا ولك الحمد، أهل الثناء والمجد، فالحمد والمجد على الإطلاق لله الحميد المجيد، فالحميد الحبيب المستحق لجميع صفات الكمال، والمجيد العظيم، الواسع القادر الغني ذو الجلال والإكرام، ومن قرأ المجيد بالكسر فهو صفة لعرشه سبحانه، وإذا كان عرشه مجيدا فهو سبحانه أحق بالمجد، وقد استشكل هذه القراءة بعض الناس، وقال: لم يسمع في صفات الخلق مجيد، ثم خرجها على أحد الوجهين: إما على الجوار، وإما أن يكون صفة لربك، وهذا من قلة بضاعة هذا القائل، فإن الله

سبحانه وصف عرشه بالكرم، وهو نظير المجد، ووصفه بالعظمة فوصفه سبحانه بالمجد مطابق لوصفه بالعظمة والكرم، بل هو أحق المخلوقات أن يوصف بذلك لسعته وحسنه وبهاء منظره، فإنه أوسع كل شيء في المخلوقات وأجمله وأجمعه لصفات الحسن وبهاء المنظر وعلو القدر، والرتبة والذات، ولا يقدر قدر عظمته وحسنه وبهاء منظره إلا الله، ومجده مستفاد من مجد خالقه ومبدعه، والسماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي الذي بين يديه كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي فيه كتلك الحلقة في الفلاة، قال ابن عباس: السماوات السبع في العرش كسبعة دراهم جعلن في ترس، فكيف لا يكون مجيدا، وهذا شأنه، فهو عظيم، كريم مجيد، وأما تكلف هذا المتكلف جره إلى الجوار، أو أنه صفة لربك، فتكلف شديد، وخروج عن المألوف في اللغة من غير حاجة إلى ذلك)(١).

ومن علماء الحديث أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد الذين اهتموا بذكر القراءات والقراء الإمام أحمد فقد أورد في مسنده نصوصا كثيرة متعلقة بالقراءات، ومن هذه النصوص ما رواه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه- أن رسول الله قرأها (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس

---

١ التبيان في أقسام القرآن لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،تحقيق: محمد حامد الفقي،، دار المعرفة، بيروت، لبنان:٩٤/١.

والعين بالعين) نصب النفس ورفع العين».

وكذلك الإمام البخاري في صحيحه، فقد ضمن كتابه الصحيح جملة من القراءات في كتبه وأبوابه، كما في كتاب التفسير، وفضائل القرآن، بل بوب - رحمه الله – بابا أسماه بَاب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وضمنه أحاديث عدة، تتحدث عن القراء والقراءات، ومن ذلكم حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو -رضي الله عنهما-وفيه يقول: سَمِعْتُ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ: «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ:مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»(١).

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»(٢). وغيرهم من علماء السنة. بل إن الإمام أبا داود سمى كتابا بـــ (كتاب الحروف والقراءات) اشتمل على أكثر من ثلاثين حديثا.

٧. إن مما يدل على اهتمام السلف بالقراءات هو

---

١ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -٤٩٩٩.

٢ أخرجه البخاري،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ٥٠٠٢.

التصنيف والتأليف فيها إفرادا في كتب مستقلة، أو جمعا، وبعضهم استقلالا، وبعضهم استطرادا من حيث الاستشهاد والاستدلال والتوجيه والتوضيح والاختيار، بل توجد آلاف المخطوطات والمطبوعات في علم القراءات، ومن هؤلاء:أبو حاتم السجستاني، وحمزة الزيات، ويعقوب الحضرمي، وحفص الدوري، والبزي،وأبو عبيد القاسم بن سلام،، ويحيي بن يعمر، وأحمد بن جبير الكوفي، والقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبريفي كتابه (الجامع)، وأبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي، وأبو عمرو بن العلاء، وابن خاقان، وأبو معشر الطبريصاحب كتاب (التلخيص في القراءات الثماني، و(سوق العروس) فيه ألف وخمسمائة وخمسون روايةً وطريقًا، والكسائي، ومكي ابن أبي طالب، وابنا غلبون، وأبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني، وابن مجاهد، والداني، والشاطبي، وابن مهران والحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي، مؤلف (الوجيز) و(الإيجاز) و(الإيضاح) و(الاتضاح) و(جامع المشهور والشاذ). ورحالة المغرب أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي صاحب (الكامل) جمع فيه خمسين قراءةً عن الأئمة، وألفًا وأربعمائة وتسعة وخمسين روايةً وطريقًا، وأبو القاسم عيسى بن عبد العزيز الإسكندري، صاحب كتاب (الجامع الأكبر والبحر الأزخر)، وابن عبد البر

وله كتاب الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو ابن العلاء، قال عنه تلميذه الحُميدي: «أبو عمر فقيه مكثر، عالِمٌ بالقراءات، وبالخلاف في الفقه، وبعلوم الحديث والرجال، قديم السماع، كثير الشيوخ».

وقال عنه ابن تيمية: «من أعلم الناس بالآثار، والتمييز بين صحيحها وسقيمها».

وقال الذهبي: «الإمام العلامة حافظ المغرب، شيخ الإسلام ابن عبد البر»، وقال: «سادَ أهل الزمان بالحفظ والإتقان».

وقال ابن القيّم: «إمام السنة في زمانه»[1]. وابن الجوزي، قال عنه ابن الجزري: (الحافظ أبو الفرج بن الجوزي البكري شيخ العراق وإمام الآفاق، تلا بالعشر على أبي بكر محمد بن الحسين المزرقي)[2]، وكذلك أخذ القراءات العشر عن عبد الله بن منصور بن عمران بن ربيعة المعروف بابن الباقلاني أبو بكر الواسطي شيخ القراء ومسندهم بواسط في زمانه. وابن تيمية، وابن حجر،

---

[1] اجتماع الجيوش الإسلامية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ٢/١٤٣.

[2] غاية النهاية:١/٤٦٢.

والدارقطني، والذهبي، وأبو حيان، وابن القيم[1]، ومجد الدين أبو البركات عبد السلام بن تيمية الحراني جد شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، وله أرجوزة في القراءات على نمط الشاطبية. وقد ذكر الذهبي في ترجمة أنَّه قرأ القراءات بمضمن كتاب المبهج، ثم قال: إنه صنف التصانيف واشتهر اسمه وبعد صيته وله أرجوزة في القراءات ومصنف في أصول الفقه وكتاب كبير في الأحكام معروف وشرح الهداية وغير ذلك) [2]. وقال الذهبي أيضا: (وَكَانَ يَدْرِي القِرَاءات، وَصَنَّفَ فِيْهَا أُرْجُوزَةً، تَلاَ عَلَيْهِ: الشَّيْخ القَيْرَوَانِيُّ) [3]، والحافظ المنذري وغيرهم كثير جدا -رحم الله الجميع- ومن رجع إلى تراجم العلماء لوجد عنايتهم بهذه العلم.

٨. إن ما نقرؤه اليوم، ونقرئ به من القراءات ما وصل إلينا إلا عن طريق الصحابة -رضي الله عنهم- وطريق التابعين -رحمهم الله تعالى-، وقد وصل إلينا غضا رطبا كما أنزل، لم يعتره تحريف ولا تبديل، وهذا دليل على اهتمام السلف من الصحابة والتابعين بالقرآن بجميع

---

[1] ينظر أعلام الموقعين وحادي الأرواح ومدارج السالكين وطريق الهجرتين وزاد المعاد، ومفتاح دار السعادة، وحادي الأرواح، والوابل الصيب، وجلاء الأفهام، وشفاء العليل، والتبيان في أقسام القرآن، وهداية الحيارى.

[2] معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م: ٢/ ٦٥٢.

[3] سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، (٢٣/٢٩٢).

رواياته وأوجهه الصحيحة المعتبرة.

٩. إن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرشد الناس بأن يتعلموا القرآن ويعلموه بإحدى قراءاته أو رواياته الصحيحة فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»[١]. وقد تقدم بيان معنى:(سبعة أحرف) في المطلب الأول.

قال ابن عثيمين -رحمه الله-: (إن العبادات الواردة على وجوه متنوعة ينبغى للإنسان أن يعمل بها كلها , ومن ذلك أيضا: القراءات الواردة فى القرآن فإنه ينبغى للإنسان أن يتعلمها، وأن يقرأ أحيانا بهذه القراءة وأحيانا بهذه القراءة؛ لأن الكل وارد عن الرسول - عليه الصلاة والسلام وثابت عنه , فإذا لزمنا قراءة قارئ واحد أغفلنا بقية القراءات، وإذا فهمنا القراءات كلها وقرأنا بها ما استطعنا كان هذا أحسن، وأوفق وأشد فى اتباع السنَّة؛ حتى لا نَلزم طريقة واحدة , فالقراءات المعروفة السبع ينبغى لطالب العلم أن يتعلمها،لكن لا يقرأ بها عند العامة؛ لئلا يكون فى ذلك فتنة؛ فإن العامة إذا قرأ عليهم قارئ من كتاب الله ما لا يعرفون أنكروا عليه إنكارا شديدا، فلهذا لا ينبغى أن تقرأ بهذه القراءات عند العامة؛ لما فى ذلك من الفتنة، وهذا من أحد

---

[١] أخرجه البخاري كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، ٤٩٩٢.

الأسباب التى جعلت أمير المؤمنين عثمان- رضى الله عنه- يوحد المصاحف على مصحف واحد، فإن الناس بدءوا يختلفون فى القراءات، وحصل بذلك فتنة، فرأى -رضى الله عنه- بتوفيق الله له وللأمة، والحمد لله أن يجمع الناس على مصحف واحد على لغة قريش , وهذا المصحف متضمن للقراءات السبع لا تخرج عنه)[1].

١٠. وصف خيرية العباد بمن علم القرآن وعلمه قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-:» خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ«[2]. بل حث رسولنا ونبينا وأمر العباد أن يأخذوا القرآن عن متقنيه وحفاظه فقال: »خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ«[3].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ -رضي الله عنهما- بَشَّرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: »مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ«[4].

١١. حُزْن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على موت القراء

---

[1] فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، محمد بن صالح العثيمين. تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م، ص٣٨٨.

[2] أخرجه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٥٠٢٧.

[3] أخرجه البخاري كتاب، بَاب الْقُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٤٩٩٩.

[4] أخرجه ابن ماجه، كتاب بَاب فَضْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ١٣٨.

فعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: «قَنَتَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَهْرًا حِينَ قُتِلَ الْقُرَّاءُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَزِنَ حُزْنًا قَطُّ أَشَدَّ مِنْهُ»[١].

١٢. إنّ من كان أكثر حفظا للقرآن الكريم وأكثر زيادة من غيره وبخاصة العامل به، والمدرك لمعانيه وأحكامه، والعارف لمَا يحتاج إليه من الفقه، مقدَّمٌ على غيره، وقد بوب ابن حبان في صحيحه هذا الباب فقال: ذكر استحقاق الإمامة بالازدياد من حفظ القرآن على القوم، وإن كان فيهم من هو أحسب وأشرف منه، وعَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو قِلَابَةَ: أَلَا تَلْقَاهُ فَتَسْأَلَهُ؟ قَالَ: فَلَقِيتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ:كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ فَنَسْأَلُهُمْ مَا لِلنَّاسِ مَا لِلنَّاسِ مَا هَذَا الرَّجُلُ؟ فَيَقُولُونَ: يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ أَوْحَى إِلَيْهِ أَوْ أَوْحَى اللهُ بِكَذَا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ وَكَأَنَّمَا يُقَرُّ فِي صَدْرِي وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهِم الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ: اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: جِئْتُكُمْ وَاللهِ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَقًّا، فَقَالَ: «صَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، بَاب مَنْ جَلَسَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ يُعْرَفُ فِيهِ الْحُزْنُ ١٣٠٠.

فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا، فَنَظَرُوا فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَكْثَرَ قُرْآنًا مِنِّي؛ لِمَا كُنْتُ أَتَلَقَّى مِن الرُّكْبَانِ، فَقَدَّمُونِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَنَا ابْنُ سِتٍّ أَوْ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ كُنْتُ إِذَا سَجَدْتُ تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فَقَالَت امْرَأَةٌ مِن الْحَيِّ: أَلَا تُغَطُّوا عَنَّا اسْتَ قَارِئِكُمْ، فَاشْتَرَوْا فَقَطَعُوا لِي قَمِيصًا، فَمَا فَرِحْتُ بِشَيْءٍ فَرَحِي بِذَلِكَ الْقَمِيصِ»(١).

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ – رضي الله عنه-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّة، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»(٢).

قال ابن رجب: (وقد اختلف العلماء: هَلْ يقدم الأقرأ عَلَى الأفقه، أم الأفقه عَلَى الأقرأ ؟، فَقَالَتْ طائفة: يقدم الأفقه، وَهُوَ قَوْلِ عَطَاء والثوري ومالك والأوزاعي والشافعي وأبي ثور،وَقَالَ الليث: يؤمهم أفضلهم وخيرهم، ثُمَّ أقرؤهم، ثُمَّ أسنهم، وقالت طائفة: يقدم الأقرأ عَلَى الأفقه، وحكي عَن الأشعث بْن قيس وابن سيرين والثوري وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي، حكاه عنهم

---

١ أخرجه البخاري، كِتَاب الْمَغَازِي، بَاب مَقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ زَمَنَ الْفَتْحِ، ٤٣٠٢.

٢ أخرجه مسلم،كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ بَاب مَنْ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ، ٦٧٣.

ابن المنذر واختاره.

وما حكيناه عَن الثوري، حكاه أصحابه عَنْهُ فِي كتبهم المصنفة عَلَى مذهبه.

ونص أحمد عَلَى أَنَّهُ يقدم الأقرأ إذا كَانَ يعرف مَا يحتاج إليه الصلاة من الفقه، وكذلك قَالَ كثير من المحققين من أصحابه، وحكموا مذهبه عَلَى هَذَا الوجه. واستدل من قدم الأقرأ بما خرجه مُسْلِم فِي ((صحيحه)) من حَدِيْث أوس بْن ضَمْعَجٌ، عَن أَبِي مَسْعُود الأنصاري، عَن النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا فِي القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا فِي السنة سواء فأقدمهم هجرة))، وفي رِوَايَة لمسلم: ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة))، وخرجه الحَاكِم، وعنده: ((يؤم القوم أكثرهم قرآناً)) - وذكر الحَدِيْث، وخرج مُسْلِم - أَيْضاً - من حَدِيْث أَبِي نضرة، عَن أَبِي سَعِيد الْخُدرِيَّ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا كانوا ثَلاَثَة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم)).

وخرج البخاري فِي ((كتابه)) هَذَا من حَدِيْث عَمْرِو بْن سَلَمَة الجرمي، عَن أَبِيه، أن النَّبِيّ- صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم

أكثركم قرآناً))، وخرج - أَيْضاً - فِيهِ من حَدِيْث ابن عُمَر، قَالَ: لما قدم المهاجرون الأولون قَبْلَ مقدم النَّبِيّ- صلى الله عليه وسلم - كَانَ يؤمهم سَالِمِ مَوْلَى أَبِي حذيفة، وكان أكثرهم قرآناً.

وخرج الإمام أحمد من حَدِيْث أَبِي موسى الأشعري، عَن النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((يؤمكم أقرؤكم)).

وخرجه أبو داود وابن ماجه من حَدِيْث ابن عَبَّاس، عَن النَّبِيّ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: ((ليؤمكم قراؤكم)).

وفي الباب أحاديث أخر.وقد تأول الشَّافِعِيّ وغيره هذه الأحاديث عَلَى أن النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - إنما خاطب أصحابه، وكان أكثرهم قرآناً أكثرهم فقهاً؛ فإن قراءتهم كَانَتْ علماً وعملاً بخلاف من بعدهم.

وأجيب عَن هَذَا بوجهين:

أحدهما: أن هَذَا خطاب عام للأمة كلهم، فلا يختص بالصحابة.

والثاني: أَنَّهُ فرق بَيْن الأقرأ والأعلم بالسنة، وقدم الأقرأ عَلِيهِ .

وأجاب الإمام أحمد عَن تقديم النَّبِيّ -صلى الله عليه

وسلم- أَبَا بَكْر عَلَى أَبِي بْن كعب وغيره، بأنه أراد بذلك التنبيه عَلَى خلافته، فلهذا المعنى قدمه فِي الصلاة عَلَى النَّاس كلهم.

وقد منع بعضهم أن يكون أَبي بْن كعب أقرأ من أَبِي بَكْر؛ لأن المراد بالأقرأ فِي الإمامة الأكثر قرآناً. وَقَالَ: كَانَ أبو بَكْر يقرأ القران كله، فلا مزية لأبي بْن كعب عَلِيهِ فِي ذَلِكَ، وامتاز أبو بَكْر بالعلم والفضل.

وهذه المسألة لأصحابنا فيها وجهان: إذا اجتمع قارئان، أحدهما أكثر قرآناً، والآخر أجود قراءةً، فهل يقدم الأكثر قرآناً عَلَى الأجود قراءة، أم بالعكس؟

وأكثر الأحاديث تدل ى اعتبار كثرة القرآن.

وإن اجتمع فقيهان قارئان، أحدهما أفقه، والآخر أجود قراءة، ففي أيهما يقدم وجهان - أَيْضاً.وقيل: إن المنصوص عَن أحمد، أَنَّهُ يقدم الأقرأ).⁽¹⁾

وقال الحافظ: (وقوله في حديث أبي مسعود «أقرؤهم» قيل: المراد به الأفقه، وقيل: هو على ظاهره، وبحسب ذلك اختلف الفقهاء. قال النووي: قال أصحابنا: الأفقه

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي. مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م: ٦٣/٥.

مقدم على الأقرأ، فإن الذي يحتاج إليه من القراءة مضبوط،والذي يحتاج إليه من الفقه غير مضبوط، فقد يعرض في الصلاة أمر لا يقدر على مراعاة الصلاة فيه إلا كامل الفقه، ولهذا قدم النبي - صلى الله عليه وسلم- أبا بكر في الصلاة على الباقين، مع أنه -صلى الله عليه وسلم- نص على أن غيره أقرأ منه، كأنه عنى حديث أقرؤكم أبَيّ. قال: وأجابوا عن الحديث بأن الأقرأ من الصحابة كان هو الأفقه. قلت: وهذا الجواب يلزم منه أن من نص النبي - صلى الله عليه وسلم- على أنه أقرأ من أبي بكر كان أفقه من أبي بكر فيفسد الاحتجاج بأن تقديم أبي بكر كان لأنه الأفقه. ثم قال النووي بعد ذلك: إن قوله في حديث أبي مسعود: «فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم في الهجرة » يدل على تقديم الأقرأ مطلقا انتهى. وهو واضح للمغايرة. وهذه الرواية أخرجها مسلم أيضا من وجه آخر عن إسماعيل بن رجاء، ولا يخفى أن محل تقديم الأقرأ إنما هو حيث يكون عارفا بما يتعين معرفته من أحوال الصلاة، فأما إذا كان جاهلا بذلك فلا يقدم اتفاقا، والسبب فيه أن أهل ذلك العصر كانوا يعرفون معاني القرآن؛ لكونهم أهل اللسان، فالأقرأ منهم، بل القارئ كان أفقه في الدين من

كثير من الفقهاء الذين جاءوا بعدهم.)[1].

١٣. إن تعلم القراءات وتعليمها الناس حفظ لكلام الله تعالى وعمل بتوجيهات النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القائل: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»[2]. والقائل: -صَلىَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما صح عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[3]. والقائل: - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (بلغوا عني..)

١٤. إن تعلم القراءات وتعليمها الناس تيسير على الأمة، وتخفيف عنها، فمن شق عليه حرف قرأ بالحرف الآخر؛ من أجل ذلك أنزل الله تعالى القرآن بأكثر من حرف، فإن فيهم الشيخ الكبير، والمرأة العجوز، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ– رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ

---

[1] فتح الباري لابن حجر: ١٧٠/٢، وينظر شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ٣٧٥/٣.

[2] أخرجه البخاري كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، ٤٩٩٢.

[3] أخرجه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٥٠٢٧.

أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا»(١).

وعنه أيضا -رضي الله عنه- قَالَ: «كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَا فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُمَا فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنْ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا فَقَالَ لِي يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ

---

[١] أخرجه مسلم، كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَاب بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَبَيَانِ مَعْنَاهُ، ٨٢١.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

وعنه -رضي الله عنه- قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جِبْرِيلَ فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ! إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ، مِنْهُمْ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»(٢).

قال ابن قتيبة: ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته، وما جرى اعتياده طفلًا وناشئًا وكهلًا؛ لأشد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه؛ ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان وقطع للعادة، فأنزل الله برحمته، ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات، ومتصرفًا في الحركات كتيسيره عليه في الدين.

قال ابن الجزري في (طيبة النشر في القراءات العشر)(٣):

وَأَصْلُ الاخْتِلافِ أَنَّ رَبَّنَا   أَنْزَلَهُ بِسَبْعَةٍ مُهَوِّنَا

١٥. إن تعدد القراءات القرآنية واختلافها لَا يَتَضَمَّنُ تَنَاقُضَ الْمَعْنَى وَتَضَادَّهُ، وتعددها له ثمرة جلية في

---

١ أخرجه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٥٠٢٧.

٢ أخرجه الترمذي، كتاب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه و سلمباب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف، ٢٩٤٤. وصححه الألباني.

٣ طيبة النشر، ص١.

علم الأحكام الشرعية، وبعضها يفسر بعضا، القراءات المختلفة تفسير لبعض القرآن كما في قراءة وقد تبين القراءة الأخرى معنى جديدا،ومن قرأ كتب التفسير التي اهتمت بذكر القراءات علم ذلك.

قال ابن تيمية: (وَلَا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُرُوفَ السَّبْعَةَ الَّتِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا لَا تَتَضَمَّنُ تَنَاقُضَ الْمَعْنَى وَتَضَادَّهُ،بَلْ قَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا مُتَّفِقًا أَوْ مُتَقَارِبًا كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ أَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَتَعَالَ. وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى أَحَدِهِمَا لَيْسَ هُوَ مَعْنَى الْآخَرِ؛ لَكِنْ كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ حَقٌّ وَهَذَا اخْتِلَافُ تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ لَا اخْتِلَافُ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ، وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا حَدِيثِ: « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ» إنْ قُلْت: غَفُورًا رَحِيمًا أَوْ قُلْت: عَزِيزًا حَكِيمًا فَاَللَّهُ كَذَلِكَ مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ }. وَهَذَا كَمَا فِي الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ (رَبَّنَا بَاعَدْ) (وَبَاعِدْ)، {إلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا}. و (إلَّا أَنْ يُخَافَا أَلَّا يُقِيمَا) (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ). (وَلِيَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) و (بَلْ عَجِبْتَ). (وَبَلْ عَجِبْتُ) وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَمِنْ الْقِرَاءَاتِ مَا يَكُونُ الْمَعْنَى فِيهَا مُتَّفِقًا مِنْ وَجْهٍ مُتَبَايِنًا مِنْ وَجْهٍ كَقَوْلِهِ: (يَخْدَعُونَ وَيُخَادِعُونَ) وَيَكْذِبُونَ وَيُكَذِّبُونَ (وَلَمَسْتُمْ وَلَامَسْتُمْ) و (حَتَّى يَطْهُرْنَ) (وَيَطَّهَّرْنَ)

وَنَحْو ذَلِكَ فَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ الَّتِي يَتَغَايَرُ فِيهَا الْمَعْنَى كُلُّهَا حَقٌّ وَكُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا كُلِّهَا وَاتِّبَاعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا لَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ بَلْ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفِ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ. وَأَمَّا مَا اتَّحَدَ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ وَإِنَّمَا يَتَنَوَّعُ صِفَةُ النُّطْقِ بِهِ كَالْهَمَزَاتِ وَالْمَدَّاتِ وَالْإِمَالَاتِ وَنَقْلِ الْحَرَكَاتِ وَالْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ وَالِاخْتِلَاسِ وَتَرْقِيقِ اللَّامَاتِ وَالرَّاءَاتِ: أَوْ تَغْلِيظِهَا وَنَحْو ذَلِكَ مِمَّا يُسَمَّى الْقِرَاءَاتِ الْأُصُولَ فَهَذَا أَظْهَرُ وَأَبْيَنُ فِي أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا تَضَادٌّ مِمَّا تَنَوَّعَ فِيهِ اللَّفْظُ أَوْ الْمَعْنَى؛ إذْ هَذِهِ الصِّفَاتُ الْمُتَنَوِّعَةُ فِي أَدَاءِ اللَّفْظِ لَا تُخْرِجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَفْظًا وَاحِدًا وَلَا يُعَدُّ ذَلِكَ فِيمَا اخْتَلَفَ لَفْظُهُ وَاتَّحَدَ مَعْنَاهُ أَوْ اخْتَلَفَ مَعْنَاهُ مِنْ الْمُتَرَادِفِ وَنَحْوِهِ وَلِهَذَا كَانَ دُخُولُ هَذَا فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ الَّتِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا مِنْ أَوْلَى مَا يَتَنَوَّعُ فِيهِ اللَّفْظُ أَوْ الْمَعْنَى وَإِنْ وَافَقَ رَسْمَ الْمُصْحَفِ وَهُوَ مَا يَخْتَلِفُ فِيهِ النَّقْطُ أَوْ الشَّكْلُ. وَلِذَلِكَ لَمْ يَتَنَازَعْ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ الْمَتْبُوعِينَ مِنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ فِي أَنَّهُ لَا يَتَعَيَّنُ أَنْ يَقْرَأَ بِهَذِهِ الْقِرَاءَاتِ الْمُعَيَّنَةِ فِي جَمِيعِ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ مَنْ ثَبَتَ عِنْدَهُ قِرَاءَةُ الْأَعْمَشِ شَيْخِ حَمْزَةَ أَوْ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ بْنِ إسْحَاقَ الْحَضْرَمِيِّ وَنَحْوِهِمَا كَمَا ثَبَتَ عِنْدَهُ

قِرَاءَةُ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ فَلَهُ أَنْ يَقْرَأَ بِهَا بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ الْمَعْدُودِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ وَالْخِلَافِ؛ بَلْ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا قِرَاءَةَ حَمْزَةَ كَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَبِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَغَيْرِهِمْ يَخْتَارُونَ قِرَاءَةَ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْقَعْقَاعِ وَشَيْبَةَ بْنِ نِصَاحٍ الْمَدَنِيَّيْنِ وَقِرَاءَةَ الْبَصْرِيِّينَ كَشُيُوخِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى قُرَّاءِ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ. وَلِلْعُلَمَاءِ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ أَهْلِ الْعِرَاقِ الَّذِينَ ثَبَتَتْ عِنْدَهُمْ قِرَاءَاتُ الْعَشَرَةِ أَوْ الْأَحَدَ عَشَرَ كَثُبُوتِ هَذِهِ السَّبْعَةِ يَجْمَعُونَ ذَلِكَ فِي الْكُتُبِ وَيَقْرَءُونَهُ فِي الصَّلَاةِ وَخَارِجَ الصَّلَاةِ وَذَلِكَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ لَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ. وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَمَنْ نَقَلَ مِنْ كَلَامِهِ مِنْ الْإِنْكَارِ عَلَى ابْنِ شنبوذ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ بِالشَّوَاذِّ فِي الصَّلَاةِ فِي أَثْنَاءِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَجَرَتْ لَهُ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْقِرَاءَاتِ الشَّاذَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ الْمُصْحَفِ كَمَا سَنُبَيِّنُهُ. وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ قِرَاءَةَ الْعَشَرَةِ وَلَكِنْ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهَا أَوْ لَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ كَمَنْ يَكُونُ فِي بَلَدٍ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ بِالْمَغْرِبِ أَوْ غَيْرِهِ وَلَمْ يَتَّصِلْ بِهِ بَعْضُ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ كَمَا قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ سُنَّةٌ يَأْخُذُهَا الْآخِرُ عَنْ الْأَوَّلِ كَمَا أَنَّ مَا ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنْوَاعِ الِاسْتِفْتَاحَاتِ فِي الصَّلَاةِ وَمِنْ أَنْوَاعِ صِفَةِ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ

وَصِفَةِ صَلَاةِ الْخَوْفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ كُلُّهُ حَسَنٌ يُشْرَعُ الْعَمَلُ بِهِ لِمَنْ عَلِمَهُ وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ نَوْعًا وَلَمْ يَعْلَمْ غَيْرَهُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَعْدِلَ عَمَّا عَلِمَهُ إلَى مَا لَمْ يَعْلَمْهُ وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُنْكِرَ عَلَى مَنْ عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَنْ يُخَالِفَهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا}.

وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ الْخَارِجَةُ عَنْ رَسْمِ الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ مِثْلَ قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى) كَمَا قَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحَيْنِ. وَمِثْلَ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ) وَكَقِرَاءَتِهِ: (إنْ كَانَتْ إلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً) وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَهَذِهِ إذَا ثَبَتَتْ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقْرَأَ بِهَا فِي الصَّلَاةِ ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ هُمَا رِوَايَتَانِ مَشْهُورَتَانِ عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَد وَرِوَايَتَانِ عَنْ مَالِكٍ. « إحْدَاهُمَا » يَجُوزُ ذَلِكَ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ كَانُوا يَقْرَءُونَ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ فِي الصَّلَاةِ. « وَالثَّانِيَةُ » لَا يَجُوزُ ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ لَمْ تَثْبُتْ مُتَوَاتِرَةً عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ ثَبَتَتْ فَإِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بالعرضة الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ {عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُعَارِضُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ

فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَارَضَهُ بِهِ مَرَّتَيْنِ والعرضة الْآخِرَةُ هِيَ قِرَاءَةُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَغَيْرِهِ } وَهِيَ الَّتِي أَمَرَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَكَتَبَهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ فِي صُحُفٍ أُمِرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِكِتَابَتِهَا ثُمَّ أَمَرَ عُثْمَانُ فِي خِلَافَتِهِ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَإِرْسَالِهَا إلَى الْأَمْصَارِ وَجَمْعِ النَّاسِ عَلَيْهَا بِاتِّفَاقِ مِنْ الصَّحَابَةِ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ...).(١)

وقال الزركشي: (إن باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءات في ولامستم وكذلك جواز وطء الحائض عند الانقطاع وعدمه إلى الغسل على اختلافهم في حتى يطهرن)(٢).

وقال ابن تيمية أيضا:(وَكُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا كُلِّهَا وَاتِّبَاعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا لَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ بَلْ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفِ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ)(٣).

---

١ مجموع الفتاوى:٤/٤١٥.

٢ البرهان:١/٣٢٦، وينظر الإتقان للسيوطي: ١/٢٧٨.

٣ مجموع الفتاوى: ١٣/٣٩١-٣٩٢.

١٦. إن علم القراءات حفظ اللغة العربية وأوجهها كلفظ البِيوت أو البُيوت والعِيون أو العُيون والإمالة والفتح والتحقيق والإبدال ونحو ذلك.

١٧. إن الذي يهتم بعلم القراءات بالتلاوة والعمل، - لا من يقرؤها ولا يعمل بها- يتحصل على الأجر والثواب العظيم، فليس من علم قراءتين، كمن علم قراءة، ومن قرأ حرفين كمن قرأ حرفا واحدا، وهلم جرا.فعن ابن مسعودٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(٢).

وَسُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى-عَنْ «جَمْعِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ» هَلْ هُوَ سُنَّةٌ أَمْ بِدْعَةٌ ؟ وَهَلْ جُمِعَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمْ لَا

---

[١] أخرجه الترمذي، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن، ١٠/٢٩. وصححه الألباني، صحيح الترمذي، ٦/٤١٠.

[٢] أخرجه أبو داود،كتاب الوتر، باب اسْتِحْبَابِ التَّرْتِيلِ فِى الْقِرَاءَةِ، ١٤٦٤.

؟ وَهَلْ لِجَامِعِهَا مَزِيَّةُ ثَوَابٍ عَلَى مَنْ قَرَأَ بِرِوَايَةٍ أَمْ لَا ؟.

فَأَجَابَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَمَّا نَفْسُ مَعْرِفَةِ الْقِرَاءَةِ وَحِفْظِهَا فَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، يَأْخُذُهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ، فَمَعْرِفَةُ الْقِرَاءَةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقْرَأُ بِهَا أَوْ يُقِرُّهُمْ عَلَى الْقِرَاءَةِ بِهَا أَوْ يَأْذَنُ لَهُمْ وَقَدْ أَقَرُّوا بِهَا سُنَّةٌ. وَالْعَارِفُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْحَافِظُ لَهَا لَهُ مَزِيَّةٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ، وَلَا يَعْرِفُ إلَّا قِرَاءَةً وَاحِدَةً. وَأَمَّا جَمْعُهَا فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي التِّلَاوَةِ فَهُوَ بِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ وَأَمَّا جَمْعُهَا لِأَجْلِ الْحِفْظِ وَالدَّرْسِ فَهُوَ مِنْ الِاجْتِهَادِ الَّذِي فَعَلَهُ طَوَائِفُ فِي الْقِرَاءَةِ.(١)

١٨. الاقتداء بالسلف في الاهتمام بالقراءات وإقرائها، بل هو سمة من سمات أهل السنة والجماعة ،فالقراء من السلف عنوا بنقل القرآن وتلقيه وتلقينه بالسند المتصل إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢). قَالَ وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٣/٤٠٤.

(٢) أخرجه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَاب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ٥٠٢٧.

قال ابن الجزري: (يشير إلى كونه جالساً في المجلس الجامع بالكوفة يعلم القرآن ويقرئه مع جلالة قدره وكثرة علمه، وحاجة الناس إلى علمه، وبقي يقرئ الناس بجامع الكوفة أكثر من أربعين سنة، وعليه قرأ الحسن والحسين رضي الله عنهما، ولذلك كان السلف رحمهم الله لا يعدلون بإقراء القرآن شيئاً)(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ،يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- إِلَيْهِمْ فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ. فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا - قَالَ - وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ. فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لأَصْحَابِهِ: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا:اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا»(٢).

---

١ النشر:١/١٠.

٢ أخرجه مسلم،كتاب الإمارة، باب ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، ٥٠٢٦.

وقال ابن الجزري: (وعن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني سألت سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرئ القرآن ؟ فقال: يقرئ القرآن؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وروينا عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: «من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً» وذلك قوله- تعالى-: (ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا)قال إلا الذين قرأوا القرآن.

وعن عبد الملك بن عمير: «أبقى الناس عقولاً قراء القرآن»)(١).

قال ابن جرير الطبري: (عن عكرمة، قال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ثم قرأ:(لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)(٢).

١٩. حسب أهمية القراءات أنه فَرْضٌ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَافَّةً أَنْ يُوجَدَ بَيْنَهُمْ عَدَدٌ كَافٍ يَسْقُطُ بِهِمُ الْفَرْضُ، فَإِذَا لَمْ يُوجَدْ بَيْنَهُمْ هَذَا الْعَدَدُ أَثِمَ

---

(١) النشر:١/١١.وذكر هذه الرواية ابن جرير في تفسيره جامع البيان، وصحح هذه الرواية الألباني. ينظر صحيح الترغيب والترهيب - للألباني،، مكتبة المعارف – الرياض، ط٥، ٨١/٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٨١/٢.

الْجَمِيعُ، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين(١).

٢٠. التنوع في أوجه القراءات، وهذا فيه فوائد كثيرة، كما قال ابن الجزري:

منها: التسهيل والتخفيف على الأمة كما بينا سابقا.

ومنها: ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل(٢).

ومنها: ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذلك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به - صلى الله عليه وسلم-.

ومنها: سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة إذ هو

---

(١) حاشية ابن عابدين: ٣٦١/١، والأم للإمام الشافعي: ١٣٠/١، والفروع للإمام ابن مفلح ٣٧/١، وكشاف القناع ٣٤/٣، ومغني المحتاج: ٣٨/١، ٣٤٤/٣.

(٢) ينظر النشر، ٦٩/١.

على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإنه من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفات لا سيما فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً[1].

ومنها: إعظام أجور هذه الأمة، من حيث إنهم يفرغون جهدهم؛ ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته، وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشف عن التوجه والتعليل والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى) والأجر على قدر المشقة.

ومنها: بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً، ولا تفخيماً ولا ترقيقاً، حتى ضبطوا مقادير المدات

---

[1] ينظر النشر: ١/٦٩.

وتفاوت الإمالات وميزوا بين الحروف بالصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بإلهام بارئ النسم(١).

ومنها: ما ادخره الله من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة، من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السبب الإلهي بسببها خصيصة الله تعالى هذه الأمة المحمدية، وإعظاماً لقدر أهل هذه الملة الحنيفية، وكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى أصله، ويرفع ارتياب الملحد قطعاً بوصله، فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت، ولو لم يكن من الخصائص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت.

ومنها: ظهور سر الله في توليه حفظ كتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإن الله – تعالى- لم يخل عصراً من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراآته، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على ممر الدهور، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور(٢).

وقال ابن تيمية:(وَسَبَبُ تَنَوُّعِ الْقِرَاءَاتِ فِيمَا احْتَمَلَهُ خَطُّ

---

١ ينظر النشر:١/٦٩.

٢ ينظر النشر:١/٦٩.

الْمُصْحَفِ هُوَ تَجْوِيزُ الشَّارِعِ وَتَسْوِيغُهُ ذَلِكَ لَهُمْ ؛ إِذْ مَرْجِعُ ذَلِكَ إلَى السُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ لَا إلَى الرَّأْيِ وَالِابْتِدَاعِ. أَمَّا إذَا قِيلَ: إنَّ ذَلِكَ هِيَ الْأَحْرُفُ السَّبْعَةُ فَظَاهِرٌ وَكَذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى إذَا قِيلَ: إنَّ ذَلِكَ حَرْفٌ مِنْ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ فَإِنَّهُ إذَا كَانَ قَدْ سُوِّغَ لَهُمْ أَنْ يَقْرَءُوهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ مَعَ تَنَوُّعِ الْأَحْرُفِ فِي الرَّسْمِ؛ فَلَأَنْ يُسَوَّغَ ذَلِكَ مَعَ اتِّفَاقِ ذَلِكَ فِي الرَّسْمِ وَتَنَوُّعِهِ فِي اللَّفْظِ أَوْلَى وَأَحْرَى وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ تَرْكِهِمْ الْمَصَاحِفَ أَوَّلَ مَا كُتِبَتْ غَيْرَ مَشْكُولَةٍ وَلَا مَنْقُوطَةٍ ؛ لِتَكُونَ صُورَةُ الرَّسْمِ مُحْتَمِلَةً لِلْأَمْرَيْنِ كَالتَّاءِ وَالْيَاءِ وَالْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَهُمْ يَضْبِطُونَ بِاللَّفْظِ كِلَا الْأَمْرَيْنِ وَيَكُونُ دَلَالَةُ الْخَطِّ الْوَاحِدِ عَلَى كِلَا اللَّفْظَيْنِ الْمَنْقُولَيْنِ الْمَسْمُوعَيْنِ الْمَتْلُوَّيْنِ شَبِيهًا بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ الْوَاحِدِ عَلَى كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ الْمَنْقُولَيْنِ الْمَعْقُولَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقَّوْا عَنْهُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ إلَيْهِمْ مِنْ الْقُرْآنِ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ جَمِيعًا كَمَا قَالَ عبد الله بن حبيب: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي - وَهُوَ الَّذِي رَوَى عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَكَانَ يُقْرِئُ الْقُرْآنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.)(١). والحمد لله رب العالمين.

---

(١) مجموع الفتاوى:٤/٤٢٢.